المنهج التجريبي والمنهج الرياضي في فلسفة الكندي

د. صالح مهدي هاشم
باحث

الكندي هو ابو يوسف يعقوب بن اسحاق بن الصباح . كما هو عند ابن جلجل [١] بن عمران بن اسماعيل بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي . كما يضيف ابن النديم[٢] كان أبوه اسحق بن الصباح أميراً على الكوفة للمهدي والرشيد . على ما يقرره ابن نباته المصري[٣] ، كان جده الأشعث بن قيس من أصحاب النبي الكريم وكان قبل ذلك ملكاً على جميع(كندة) . على ما فصل ذلك القفطي[٤]، فلسيوف العرب الأول على ما يجده ابن صاعد الأندلسي [٥] المشتهر بالتبحر في فنون الحكمة اليونانية والفارسية والهندية [٦] كما يجده القفطي . عظيم المنزلة عند المأمون وعند المعتصم وعند ابن أحمد بن المعتصم [٧] ، على ما يرى ابن ابي صيبعة كان مهندساً خائضاً غمرات العلم ، وله تصانيف كثيرة وقد جمع في بعض تصانيفه بين اصول الشرع واصول المعقولات . على ما قال البيهقي [٨] كان كتابه في المناظرة في غاية الحسن ، وأعترف شمس الدين محمد الشهرزوري بقوله " انا ما حصلت على المناظرة وما حللت من اشكال ذلك العلم إلا من تصنيفه هذا الذي هو نادر في ذلك المعنى "[٩] جاء ذكره الحسن في كثير من مصادر التاريخ . كما نقل عنه الجاحظ في(الحيوان) ، وأتهمه بالبخل في كتابه (البخلاء) وهو ليس كذلك ... تتجلى عبقرية الكندي في تلك الصيغة التي يوردها في تقسيم العلوم جامعاً بين أفلاطون وأرسطو ، بينهما وبين الدين والشريعة الإسلامية [١٠] ...ولأنه قريب من المأمون والمأمون قريب من المعتزلة ، جعله الدكتور عبدالهادي ابو ريدة في صفهم ويقول: " لم يكن من روح الكندي بالأجمال ما يناقض اصول مذهب الإعتزال خصوصاً أن روحهم عقلية فلسفية ومتفقة مع أصول الفلسفة " [١١] .

ولذا قبل هذا المذهب بدون تحفظ ، ولكنه أعطاه اساساً فلسفياً على ما يذكر فالزر [١٢] ، وقد تمازج مع الدولة حكماً وعقيدة ، وتأقلم مع عصر المأمون المزهر ، وتأسيساً على هذا مم يثبت لأبي ريده ان الكندي كان يؤلف لحلقة دراسية او لتلاميذ ، بل هو عالم ارستقراطي يؤلف ويهدي ما الف الى الخلفاء والامراء وابنائهم[١٣] .يبدو ان الاستاذ الدكتور حسام الالوسي جمع بين دفتي كتابه (فلسفة الكندي) دزاداً متنوعاً وفيراً للراغبين في معرفة الكندي ، ترجمة او افكاراً تعتمد توثيق احكامها باقوال الكندي ، فجاءت الدراسة غنية بنصوص الكندي نفسه .

يتجذر منهج الكندي الرياضي ويتوضح في تقيسمه للعلوم ، حيث جعل للرياضيات في هذا التقسيم المقام الاول من حيث ضرورة الابتداء به قبل التعليم فهذا العلم يسبق العلم الطبيعي ويسبق أيضاً المنطق في العلم .

ويذكر الآلوسي : أن الكندي في اعتماده هذا على المنهج الرياضي وجعله جزءاً أولاً في الفلسفة متأثراً بأفلاطون الذي كان يعتبر الرياضيات أول العلوم وأرفعها في المكانة[١٤] . ويؤكد الكندي هذا المنهج فيقول :"في كتابه (المصونات الوترية)" أن عادة الفلاسفة كانت الارتباط بالعلم الاوسط (العلم الرياضي) بين علم تحته وعلم فوقه فاما الذي تحته فهو (علم الطبيعة) وما يتطبع عنها ، وأن الذي فوقه فعلم ما ليس من الطبيعة يترك أثره في الطبيعة أي علم الربوبية " [١٥] .

أن تقسيم العلوم عند الكندي ينقسم في الاساس الى قسمين : ديني ودنيوي ، فاما الديني فهو علوم الوحي والألهام النبوي ، وهو مطابق للمقاييس العقلية وقابل للتأويل من قبل ذوي الدين والاصالة ، اما الدنيوي فهو علم الفلسفة التي هي ام العلوم ، وهو بهذا التفسير يبتعد عن افلاطون وعن ارسطو على حد سواء بأضافته العلم الذي ينال بالوحي الى جدول العلوم لئلا تبدو الفلسفة غربية عن المجتمع الاسلامي الذي هو الاساس في البنية الثقافية في الشرق والمسلم عكس اليونان حيث لا دين مركزي لما يتمركز حوله الناس وقسم الكندي الفلسفة الى قسمين أيضاً علوم في المقدمة او هي آلة لتحصيل العلوم وهي المنطق والرياضيات . وعلوم مطلوبة لذاتها وهي نظرية وعملية ويندرج تحت علوم الرياضيات علم العدد وعلم الهندسة ، ويندرج تحت علوم الرياضيات علم العدد وعلم الهندسة وعلم التنجيم وعلم الموسيقى ، ويندرج نحت قسم العلوم النظرية علوم الطبيعيات وعلم النفس وعلم ما بعد الطبيعة اما العلوم العملية فهي علم الاخلاق وعلم السياسة[١٦] . تكون المنهج الرياضي عند الكندي من خلال مزيج مدروس وواعي جذره معتزلي مضافاً إليه تأثره بالفكر اليوناني ، أثيني مؤخراً بالمنهج الرياضي عند افلاطون وما اكتسبه من ارسطو وكان هذا التأثير ممزوجاً بملامح افلاطونية حديثة من خلال مواقع إسلامية [١٧] يقول ديبور"أن الكندي يسعى لأن يجمع افلاطون وأرسطو في ثوب أفلاطوني محدث [١٨] ولكن هذا لا يمنع ان تكون منطلقات الكندي اسلامية وهواه معتزلياً ...

أن فلاسفتنا ومفكرينا في تجدد مناهجهم الفلسفية ، لا يبتعدون عن كونهم فلاسفة مسلمين ، بقدر ما يبتعدون عن كونهم فلاسفة مسلمين ، بقدر ما يبتعدون عن كونهم فلاسفة مسلمين ، بقدر ما يبتعدون عن كونهم محسوبيي على هذا الفيلسوف اليوناني ، اثني كان او اسكندراني أو غيرهم . لان فلاسفتنا قد تقاسموا هذا الموقع الوسط ، الموفق ، المتعدد الاصول والأبعاد لأظهار مدى الوحدة والتلائم في الفكر العربي الاسلامي ، ان الفلسفة الإسلامية ، والكندي مؤسس لها ، تمت وترعرعت كما نمى وترعرع الكندي نفسه في ظل الاسلام ومن خلال مبادئه ، فلها طابعها وميزاتها في عالم الفكر حيث وافق بعضها بعضاً وتأثر كا منها بالآخر شأنها في ذلك شأن كل امر حضاري[١٩]...

يرى الآلوسي ان للكندي في مباحثه الفلسفية ثلاثة مناهج تستمد مقوماتها في ثلاثة علوم رئيسية بشرية ، علم هيولاني :وهو يقابل العلم الطبيعي ، وعلم غير هيولاني من كل وجه : وهو يقابل العلم الألهي ، وعلم ثالث : هيولاني وجوداً غير هيولاني

ولا متحرك كموضوع للمعرفة ، أو تصوراً وهو العلم الرياضي . ولكل واحد من هذه العلوم منهج خاص ، والغلط يقع في استعمال منهج احدهما للآخر[٢٠]...
في حين لا يرى الدكتور جعفر آل ياسين ان للكندي منهجاً أو أنه يُعتقد المنهجية لأن الكندي نشأ في بواكير النهضة الفلسفية ، ولكن آل ياسين يستدرك في مكان آخر فيقول: أن الكندي في ميتافيزيقاه مَّوفق ببنى الإفلاطونية والمشائية ، وان المشائية التي تأثربها لم تكن مشائية حقيقية ، بل فكراً برزت صورة في كتاب تساعيات أفلوطين ، والكندي يتمسك بمواقف ارسطو طاليس ، فيضطرب ببنى أتجاهين لم يحاول أكتشاف تقابلهما ، ولكنه في الوقت ذاته هو أقرب روحاً وتطلعاً الى (الواحد) الإفلوطني منه الى مذهب المعلم الاول [٢١] ، فاذا كان الكندي بهذه الصبغ التي عددها الدكتور جعفر فاقداً للمنهجية ، فكيف يكون صاحب المناهج ؟
يقول دييور : ان الكندي كان عالماً جامعاً متميزاً متعدد الثقافة متعدد المنهاج ، وقد استطاع ان يهضم كل المعرفة والثقافة في زمانه ، ثم يلخص دييور كل ماسبق فيقول: الكندي لاهوتي معتزلي وفيلسوف افلوطني محدث مع إضافات فيثاغورية جديدة[٢٢]
ويؤكد الدكتور ناجي التكريتي ، حقيقة ان الكندي متأثر والى حد كبير بمنهج أفلاطون وبمدارس آخرى كالفيثاغورية ، وبجد التكريتي : ان الكندي يمثل اول مدرسة أفلاطونية في العالم الإسلامي وأول فيلسوف إسلامي على النسق اليوناني ، ويروق بالقول : أن أساس مناهج فلسفة الكندي وركائزها أفلاطونية وان منهجه يسير على طريق العقل القائم على الاستنباط الرياضي ، وان منهج الكندي الواضح والاساس منطقي رياضي[٢٣]...
وقال أخرون : ان الكندي في منهجه احتفظ في معالجاته بشأن الموضوعات الفلسفية بأستقلاله برأيه فلم يكتفِ بنقل أرسطو أو أفلاطون أو غيرهما من فلاسفة الاغريق ،بل اختار من الاراء التي عرفها ما يلائم نزعته الخاصة ومعتقده الديني ، فهو ارسطو طاليس النزعة في علم الطبيعة ومنهجه التجريبي بهذا الخصوص ، ولكنه نفى قدم العالم والأصول التي يقوم عليها ، ورفض الأخذ برأي ارسطو في النفس مفضلاً رأي أفلاطون لما في هذا المذهب من رومانسية تتفق مع الدين الإسلامي الحنيف الذي ينافي نزعة ارسطو المادية[٢٤] ، هو هكذا أنتقائي واعي مع أفلاطون أو غيره... ويشير علي حسين الجابري الى ان منهج الكندي يختلف حسب الموضوع، وعلى هذا يعدد الجابري في بحثه عدة نقاط يتبنى معالم منهج الكندي في البحث الفلسفي والكتابة ، وان الكندي يحدد المشكلة ويحضر اقوال القدماء فيها ، وما يجيء هو به من جديد مع الاستعانة بما جاء به الرسل وتقديم البراهين حسب منهجه التجريبي او الرياضي مع قوله بمصادر المعرفة ثلاثة ، حسية وعقلية [٢٥] وقد اعتمد الكندي في بحثه الفلسفي كما اسلفنا على ثلاثة مناهج دقيقة المضمون والمحتوى واضحة المسلك والغاية ، فهو في تأسيسه الفلسفي ينهج على أسس الرياضيات والمنهج الرياضي الذي هو معرفة عقلية ضرورية وليس فطرية ، لا تتمثل بصورة

حسية بل عقلية ، وهي معرفة مكتسبة بفعل جهد بشري ، ليفرز هذه المعرفة عن الجهد فوق البشري ، وقد جعل هذا المنهج المدخل الاول والرئيس لفلسفة الكندي ...
أما منهجه التجريبي فنجده في طروحاته للعلم الطبيعي المتمثلة بصورة الحسية او بمدركاته الحسية التي هي صور للمحسوسات في النفس ولها خصائص معينة وموضوع معين ... ومن ذلك يتضح ان الكندي في نهجه التجريبي يعتمد الطبيعيات لانها علم متحرك ولانها موضوعة هيولاني لها منهج مخصوص تستوعبه التجارب وتعيشه الوسائل وتخضع الى البرهاني ، وطريقة الاقناع والتجريب والمختبر ، ويقيم الكندي تجارب متعددة بهذا الشأن نراها في رسائله ، انطلاقاً من قاعدة عامة اتخذها الكندي : ان الشيئ اذا كان خبراً عن محسوس لم يكره نقضه الا بخبر من محسوس ، ولا تصدقه الا بخبر عن محسوس[٢٦]. وعلى هذا نجده يعمل العدد ويصنع الوسائل بنفسه ويمارس التجارب من اجل منهجه التجريبي هذا ... وفي كتاب الألوسي اشارات متعددة الى هذا المنهج والتجارب العلمية الدقيقة التي مارسها الكندي في تطبيق هذا المنهج الذي اتخذ من العلم الطبيعي مجالاً له ...
اما منهجه الرياضي فواضح واكده العديد من القدامى والمحدثين ، أكد الكندي في ابحاثه التي هي فوق الطبيعة ، ويعنى بها التي لاهيولى لها ولا تقارن بالهيولى . ولن تجد لها مثلاً في النفس بل تجدها في البحث العقلي ، وذلك هو طريقه في المنهج الرياضي .
ونستخلص من هذا ان المنهج التجريبي عند الكندي هو المنهج الذي يتخذ التجربة والحس والاقناع طريقاً والعلم الطبيعي مضموناً لأنه علم متحرك ولأن موضوعه هيولاني له منهج مخصوص ... وللكندي * . أما كيف وفق الكندي في منهجه الرياضي ومنهجه التجريبي فتلك مسألة تميزت بها الفلسفة الاسلامية ، وبرع بها الفلاسفة الاسلاميون في الصف الاول منهم الكندي ...
ويكفي الكندي فخراً أنه أعتبر ومنذ نبوغه الأول في الشرق كما اعتبر في الغرب مؤسس الفلسفة الاسلامية ، وأن المفكر الإيطالي كارولوس المتوفي عام ١٥٧٦م يعده احد الاثنى عشر فذاً مبرزاً عالمياً .

الهوامش

(١) أنظر : (طبقات الاطباء والحكماء) ص٧٣ .
(٢) الفهرست ، ص٣٧١.
(٣) أنظر : (طبقات الأمم) ص٧١.
(٤) شرح رسالة ابن ص١٢٩.
(٥) (حيوان الحكمة) ص٢٨٢.
(٦) (اخبار العلماء باخبار الحكماء) ص٣٦٦.
(٧) (عيون الابناء في طبقات الاطباء) ج٢ ص١٨٠.
(٨) (تتمه حيوان الحكمة) ص٢٥.
(٩) نزهة الأرواح ...ج٢ ص٢٢ .
(١٠) أنظر الألوسي ، حسام (فلسفة الكندي)ص١٤-٢٥.

(١١) مقدمة رسائل الكندي ، ج١،ص٦.
(١٢) ص٣٣٣.
(١٣) ابو ريده ، المصدر السابق ، وقارن مصطفى عبدالرزاق ، فيلسوف العرب،ص٤٦ ، ج١، ص٧ .
(١٤) فلسفة الكندي ، ص١٥ .
(١٥) أنظر : زكريا يوسف ، مؤلفات الكندي ، ص٧.
(١٦) أنظر : (رسائل الكندي) ،ج١ ، ص٣٢٧.
(١٧) طيب ، ص٢٧٤.
(١٨) تاريخ الفلسفة في الاسلام ، ص١٠٤.
(١٩) أنظر : مقدمة كتاب (الاسرار الشخصية للعلوم العقلية)، لأبن المطهر،علي ص١١-١٢.
(٢٠) (فلسفة الكندي)، ص٤٦.
(٢١) (فيلسوفان رائدان الكندي والفارابي)،ص٤٩-٥٠.
(٢٢) (تاريخ الفلسفة الاسلامية)، ص٩٩.
(٢٣) (الفلسفة الافلوطونية) ،ص٧٨-١٣٥-١٤٠-٢٤ .
(٢٤) خليل الجر وحنا الفاخوري،ص٨٥.
(٢٥) دراسة تحليلية لمنهج المعرفة والتعليم ...مجلة دراسات عربية ١٩٨٣،ص٧٥.
(٢٦) الكندي ، الرسائل ، تحقيق عبدالهادي ابو ريده ج١ .
(٢٧) (فلسفة الكندي) ، ص٤٥-٥١.
(*) اراء مبتكرة وتجارب علمية دقيقة لكثير من الظواهر الطبيعية وفي قضايا متعددة كظواهر السحاب والبرق والبخار والمطر والبرد والمد والجزر والخسوف والكسوف كما له تجارب هندسية على كرة الارض كما انه فسر بعض الظواهر النفسية والنوم والاحلام تعبيراً فسيولوجياً وبيئاً وكذلك فسر اخلاق الشعوب في الحضر وفي البدو وفي السهل وفي الجبل مما يعتبر مقدمة مبكرة لابن خلدون ، ولعل أجمل ما يمكن ذكره هنا أعلان الكندي ان علم السيمياء – وهو فكرة تحويل المعادن الى ذهب – دجل ، وان الذي يكرس نفسه لهذه العمليات اما يخدع نفسه او الاخرين ، وكانت تلك حقيقة انخدع بها الناس طويلاً قبل الكندي وبعد الكندي ...